من التراث الخالد لمعلم الأجيال

الكتاب السادس: يخيل إليَّ أنني أعرفه

الناشر: المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الانترنت

http://copticlibrary.blogspot.com

تاريخ النشر: إبريل ٢٠١٢م

مثلث الرحمات

قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية ال ١١٧

هذه السلسلة

تقدم المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الانترنت لقرائها الأعزاء في هذه السلسلة بعضاً من التراث الخالد لمعلم الأجيال وذهبي فم القرن العشرين والحادي والعشرين مثلث الرحمات قداسة البابا شنوده الثالث. الذي أثرى حياتنا، وحياة الملايين من محبيه عبر الأجيال بأقواله وتعاليمه وحياته، فكان مصباح منير، بل شمس ساطعة أضاءت بقوة عالمنا الذي يحتاج دوما إلى قدوة صالحة تسير على هدى السيد المسيح وتتبع خطواته في الحب والبذل والاتضاع.

وكتابنا السادس في هذه السلسلة عبارة عن مقال للأستاذ نظير جيد بعنوان «يخيل إليَّ أنني أعرفه» نشره في مجلة مدارس الأحد عدد أبريل ١٩٤٩م.

نصلي إلى الرب أن ينيح روحه الطاهرة في ملكوت السموات وأن يمتعنا ببركه صلاته عنا.

المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الانترنت -إبريل ٢٠١٢م

يخيل إلىَّ أنني أعرفه

إنني أتصوره الآن مع تلاميذه الإثنى عشر وهم قوم بسطاء طالما تعب في تعليمهم واحتمل في صبر شديد قلة فهمهم وضيق تفكيرهم:

حدثهم مرة عن مثل الزارع وهو مثل بسيط فم يفهموه وطلبوا منه أن يشرحه. وحدثهم أيضاً عن القمح والزوان فلم يفهموا هذا المثل أيضاً مع أنه أسهل من سابقه. وفي إحدى المرات أتى الفريسيون والصدوقيون إليه ليجربوه وبعد أن أفحمهم قال لتلاميذه «احترزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين» يقصد تعاليمهم، أما هم فحسبوه يقصد الخمير العادي الذي نصنع منه الخبز لنأكل!! متى كان المسيح يهتم بالخبز؟!

وحتى رسالته أيضاً لم يفهموها كثيراً، وربما فكروا في وقت ما إنه يريد تكوين مملكة على الأرض فنراهم قد

تنازعوا فيما بينهم على الرئاسة ووصلت بهم الجرأة أن يأتوا ليسألوا المسيح من فيهم الأعظم، بل جاءت أم اثنين منهم تطلب إليه أن يجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره! - وعندما قال لهم المسيح إنه سيصلب من أجل العالم ويقبر ثم يقوم إنتحى به بطرس جانباً وانتهره وقال له «حاشا يا رب أن يكون لك هذا!!!».

وبعد أن عرفوه رحيماً وشفوقاً جداً نراهم يبعدون الأولاد الصغار الذين جاءوا لطلب البركة منه، وينتهرون الأعميين اللذين صرخا في طريقه «ارحمنا يا ابن داود»، ويريدون صرف الجموع التي تبعته إلى القرى المحيطة ليبتاعوا طعاماً دون أن يعطوهم هم ليأكلوا.

وهكذا نجدهم كانوا ضعاف التفكير جداً فلم يفهموا كلماته جميعاً، ولم يدركوا رسالته ولا طريقته في معاملة الناس، وحتى شخصيته أيضاً لم يعرفوها. وإذا بهم بعد أن

عاشروه أكثر من ثلاث سنوات، وبعد أن رأوه يهب الحياة ويغفر الخطايا ويقوم بالمعجزات، بعد هذا كله يأتي إليه واحد منهم وهو فيلبس ويقول له «يا سيد، أرنا الآب وكفانا».. فيرد المسيح «أنا معكم زماناً هذا مدته ولم تعرفني يا فيلبس, الذي رآني فقد رأى الآب».

ترى هل أثبت التلاميذ بعد كل هذا أنهم يصلحون للمهمة التي اختيروا من أجلها؟! لو كان واحد منا في موقف السيد المسيح لأختار غيرهم ولقال في نفسه «إن أريد قوما أذكياء أقوياء ينشرون الدين أما هؤلاء الجهال فإنهم لا يصلحون»، أما المسيح فإنه صبر على كل تصرفاتهم وأطال أناته عليهم، بل يقول عنه الكتاب بعد كل هذا «إذ كان قد أحب خاصته، أحبهم إلى المنتهى».

آه يا سيدي الرب، أي شيء فيهم يجعلك تحبهم.. أجهالتهم الكثيرة أم أخطاؤهم العديدة؟! ليس من شيء إلا

أنك أنت المحبة.. أنت الذي تريد الجميع يخلصون.. أنت الذي يقول عنك القديس بولس «اختار جهال العالم ليخزي بهم الحكماء».. ليتني يا رب أتعلم منك. أنا الذي يضيق صدري الغضوب أمام تلميذ غبي، أو أخ صغير، أو خادم جاهل..

ولكن هل هذا هو كل ما صدر منهم من أخطاء؟ كلا. فهنا أكثر: لنأخذ بطرس كمثال: رأي المسيح ماشياً فوق الماء ومنتهراً للأمواج فأحب أن يفعل مثله وصرح له سيده بذلك فقام ومشى فوق الماء ثم ضعف إيمانه وسقط؟ لماذا يا بطرس؟ وهل شخص يضعف هكذا في إيمانه يستطيع أن ينشر المسيحية فيما بعد؟ وهل يقبلك المسيح بعد الذي رآه منك؟ نعم. هوذا المسيح يمسك بيد بطرس ليقيمه.

ويذهب المسيح إلى بستان جثسيماني ليجاهد هناك من أجل البشرية الساقطة، ويأخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وقد طلب منهم أن يسهروا معه قليلاً إذ كانت نفسه حزينة

حتى الموت. أما هؤلاء الثلاثة فناموا ولم يستطيعوا أن يسهروا معه. لو كان شخص منا في هذا الموقف لغضب وتأثر وقال في نفسه «حقا إن الصديق يعرف في وقت الشدة وقد أثبت هؤلاء أنهم غير أوفياء. فلأبحث عن أصدقاء آخرين» أما المسيح فإنه أيقظهم وكرر الطلب فناموا أيضاً.. فايقظهم فناموا للمرة الثالثة.. وأخيراً نرى المسيح يجد لهم عذراً في قوله إن الروح نشيط وأما الجسد فضعيف..

ويقبض اليهود على المسيح ويتفرق تلاميذه كل واحد إلى خاصته ويتركونه وحده في تلك اللحظة الحرجة، وحتى بطرس الذي قال «لو أنكرك الجميع لا أنكرك أنا» نراه ثلاث مرات ينكر المسيح ويسب ويلعن ويقول «لا أعرف الرجل».

ترى هل يئس المسيح منهم بعد كل هذا؟ كلا! إنه اجتمع بهم بعد القيامة وثبتهم في الإيمان وقال لبطرس خاصة «كنت أصلي من أجلك لئلا يفنى إيمانك» أهكذا يا رب

تعامل المخطئين.. حقيقي أنك محب جداً وأنك تصبر كثيراً لأنك لا تشاء موت الخاطئ مثلما يرجع ويحيا.

هوذا بطرس واقف أمام الجلادين القساة يقول لهم «ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس».. وهوذا بطرس أيضاً واقف في الهيكل بعد أن شفى الأعرج (ومعه يوحنا) ويقول للناس «لماذا تشخصون إلينا كأننا بقوتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشي.. فليكن معلوماً عند جميعكم وجميع شعب اسرائيل أنه باسم يسوع المسيح الناصري الذي صلبتموه أنتم، الذي أقامه الله من الأموات. بذاك وقف هذا أمامكم صحيحاً» ما هذه الشجاعة وإنكار الذات يا بطرس! ألست أنت الضعيف الناكر سابقاً؟ إنها ولا شك طول أناة المسيح التي أحدثت كل هذا التغيير. ترى لو غضب عليك سيدك عندما سقطت في الماء، أو عندما نمت في البستان، أو عندما أنكرته، وطردك عقاباً لك، ماذا كان يحدث.. كنت تهلك أنت، ونفقد نحن

قديساً عظيماً. عظيم أنت يا رب في كل أعمالك .. وعظيم في صدرك الواسع الكبير..

ولكن هل كان يسوع المحب يتصرف هكذا مع تلاميذه فقط؟ كلا، بل مع الجميع.. أنظروا إلى مناقشته مع نيقوديموس أحد الزعماء يحدثه المسيح عن الولادة الثانية فنجد معلم إسرائيل يرد في بلاهة «كيف يمكن للإنسان أن يولد وهو شيخ. ألعله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد» لم يبتسم المسيح في سخرية ولم ينظر إليه في استنكار وإنما أكمل المناقشة في هدوء كأن مثل هذه الإجابة الصبيانية لم تصدر. ثم تأملوا مثل الكرامين الأردياء تروا مثالاً واضحاً عن طول أناة السيد مع الأشرار. بل إنه كان صبوراً جداً حتى مع غير الإنسان.

راجعوا مثل التينة التي ظلت ثلاث سنوات لا تعطي ثمراً كيف أنه وافق أن يتركها سنة أخرى حتى ينقب صاحبها

حولها ويضع زبلاً فربما تأتي بثمر فيما بعد.. وأنا يا رب الذي مرت عليَّ سنوات طويلة جدباء، لا تسمح الآن بأن توضع الفأس على رأس الشجرة، وإنما امهلني من أجل مراحمك.. وأعطني فرصة أخرى. لأن هذه هي طريقتك مع الجميع.

اقتادوا إليه امرأة خاطئة ضبطت في ذات الفعل، وقد أمسكوا في أيديهم الحجارة ليرجموها.. يا للبشر القساة الذين لا يحبون بعضهم بعضاً.. إن المسيح لم يأت ليدعوا أبراراً بل خطاة إلى التوبة. آه لو علم الراجمون القساة، أنه من أجل هذه الخاطئة أيضاً سيصلب المسيح، وأنها من جبلته ومن صنع يديه. ولكنهم ربما فهموا هذا أخيراً عندما أخجلهم المسيح وصرفهم.. أما المرأة فقد قال لها «اذهبي بسلام، وأنا أيضاً لا أدينك».. كان يعرف أنها محتاجة لمن يأخذ بيدها حتى تتوب، وأنها محتاجة إلى شيء من الصبر حتى تتجدد وتتغير فصبر عليها..

وهكذا أيضاً فعل مع المرأة السامرية صاحبة السمعة الرديئة جداً حتى صارت مؤمنة بل ومبشرة باسمه، وهكذا أطال أناته على متى العشار حتى صار تلميذاً وكاتب للانجيل، وعلى بولس المضطهد حتى صار رسولاً للأمم وأسيراً في الرب.. لقد أطال أناته مع كل هؤلاء أنه أحب كل هؤلاء - رغم حالتهم - وأحبهم إلى المنتهى.. كان يقدر قيمة هذه النفوس البعيدة ويعمل من أجلها، فهل نقدر نحن قيمة أنفس أخوتنا في الرب!

يا قارئي العزيز: إنني لم أذهب إلى الناصرة، ولم أتمش في شوارع الجليل، ولم أركع في جثسيماني ولا في الجلجثة، ولكنني في أحيان كثيرة أهتف من أعماق نفسي «يخيل إليَّ أنني أعرفه»

إنه طويل الأناة

المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الأنترنت
http://copticlibrary.blogspot.com